الدرس: 85

الأستاذ: الشيخ محمد تقى الشهيدي

المبحث: الظهور

التاريخ: الثلاثاء 21 شوال المكرم 1445 ه.ق

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين و صلى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين ولعنة الله على اعدائهم اجمعين

فى حجية الظواهر

كان الكلام فى الوجهين الذين ذكرا فى المنع عن حجية ظهورات الكتاب:

الوجه الاول: كان هو التمسک بقوله تعالى: "و اما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله و ما يعلم تأويله الا الله و الراسخون فى العلم". تكلمنا حول هذه الآية الكريمة و استظهرنا منها أن الآيات المتشابهات مما لا يعلم تأويلها الا الله و الراسخون فى العلم. و اما ما فى بعض التفاسير من أن قوله "والراسخون فى العلم" جملة مستأنفة، أى والراسخون فى العلم يقولون كل من عند ربنا، فهذا خلاف الروايات الصحيحة.

و ما يقال من أنه لو كان جملة "الراسخون فى العلم" معطوفة على الله، لصار قوله فأما الذين فى قلوبهم زيغ بلا قرين، فكأن الجملة المبدوّ بأما لابد ان يكون لها قرين. فأما الذين آمنوا فكذا، و اما الذين كفروا فكذا. لا ليس دائما كذلک؛

ففى صورة القصص: "و يوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتسائلون فأما من تاب و آمن و عمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين". هذه الجملة مبدوة بأما و ليس لها قرين، لم يذكر بعدها و أما من لم يتب مثلا فكذا.

و هكذا فی سورة النساء: "يا ايها الناس قد جائكم برهان من ربكم و انزلنا اليكم نورا مبينا، فأما الذين آمنوا بالله و اعتصموا به فسيدخلهم فی رحمة منه و فضل و يهديهم اليه صراطا مستقيما" لم يذكر بعده جملة اخرى بلسان أنه و اما الذين كفروا فكذا.

وهكذا هذه الآية: فأما الذين فی قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله. خلاص بعد، لا يحتاج الى وجود قرين لهذه الجملة المبدوة بأما.

الوجه الثانی للمنع عن حجية ظهورات الكتاب كان هو التمسک بعدة روايات قسّمنها الى ثلاث طوائف:

الطائفة الاولى: ما دلت على النهی عن تفسير القرآن بالرأی:

ففی رواية الريان بن الصلت عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال الله عزوجل: ما آمن بی من فسّر برأيه كلامی.

و فی رواية عبدالرحمن بن سمرة: من فسّر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب.

فيقال بأن الاعتماد فی فهم القرآن على ما يصل اليه فكر الانسان من دون استناد الى الروايات من التفسير بالرأی.

الطائفة الثانية: ما وردت بلسان النهى عن تفسير القرآن من دون أن يقيد بالتفسير بالرأى:

ففى رواية سعد بن طريف عن أبى جعفر عليه السلام: إنما على الناس أن يقرئوا القرآن كما انزل فإذا احتاجوا الى تفسيره فالاهتداء بنا و الينا.

و فى رواية زرارة عن أبى جعفر عليه السلام قال: ليس شىء ابعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية ينزل اولها فى شىء و اوسطها فى شىء و آخرها فى شىء.

و فى رواية النضر بن سويد عن القاسم بن سليمان عن ابى عبدالله عليه السلام، قال قال أبى: ما ضرب رجل القرآن بعضه ببعض الا كفر. قال الصدوق: سألت محمد بن الحسن بن الوليد عن معنى الحديث، فقال: هو أن يجيب الرجل فى تفسير آية بتفسير آية اخرى.

فيقال لو فرض التشكيک فى صدق التفسير بالرأى على تفسير القرآن باستظهار معانى القرآن، فلااقل من أنه يصدق عليه عنوان التفسير المطلق. و هذه الطائفة دلت على عدم جواز التفسير للقرآن الكريم الا بالرجوع الى اهل البيت عليهم السلام.

الطائفة الثالثة: ما دلت على أن فهم القرآن مختص بالائمة عليهم السلام:

ففی رواية معلى بن الخنيس قال ابوعبدالله عليه السلام: إنما القرآن امثال لقوم يعلمون دون غيرهم، و لقوم يتلونه حق تلاوته و هم الذين يؤمنون به و يعرفونه، و أما غيرهم فما اشد اشكاله عليهم و ابعده من مذاهب قلوبهم و لذلک قال رسول الله صلى الله عليه وآله ليس شیء ابعد من عقول الرجال من تفسير القرآن و فی ذلک تحير الخلائق اجمعون الا من شاء الله و إنما اراد الله بتعميته فی ذلک أن ينتهوا الى بابه و صراطه و أن يعبدوه و ينتهوا فی قوله الى طاعة القوام بكتابه و الناقضين عن امره و أن يستنطقوا ما احتاجوا اليه من ذلک عنهم لا عن انفسهم.

و فی صحيحة منصور بن حازم قلت لأبی عبدالله عليه السلام قلت للناس: تعلمون أن رسول الله كان هو الحجة من الله على خلقه؟ قالوا بلى. قلت فحين مضى رسول الله من كان الحجة على خلقه؟ فقالوا القرآن. فنظرت فی القرآن فإذا هو يخاصم به المرجئی و القدری و الزنديق الذی لا يؤمن به (يعنی حتى الزنديق يحتج بالقرآن) فعرفت أنّ القرآن لا يكون حجّة إلّا بقيّم، فما قال فيه من شيء كان حقّا، فقلت

لهم: من قيّم القرآن؟ فقالوا: ابن مسعود و عمر و حذيفة، قلت: كلّه؟ (أى هم قيم القرآن كلّه) قالوا لا، فلم أجد أحدا يقال عنه: إنّه يعرف القرآن كلّه إلّا عليّا صلوات اللّه عليه فأشهد أنّ عليّا عليه السّلام كان قيّم القرآن و كانت طاعته مفترضة و كان الحجّة على الناس بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله و أنّ ما قال في القرآن فهو حقّ فقال رحمك اللّه.

و فى رواية مسعدة بن صدقة عن أبى عبدالله عليه السلام فى حديث احتجاجه على الصوفية: جماعة من الصوفية و الظاهر أنه كان من بينهم سفيان الثورى فقيههم احتجوا على الامام بآيات من القرآن فى الايثار و الزهد (يعترضون على الامام الصادق عليه السلام يقولون له أنت لست بزاهد، انت ليس عند ايثار)، فقال عليه السلام: أ لكم علم بناسخ القرآن و منسوخه و محكمه و متشابهه الذى فى مثله ضل من ضل و هلک من هلک من هذه الامة؟ قالوا بعضه، و أما كله فلا. فقال لهم: فمن هنا اتيتم (يعنى من هنا وقعتم فى الضلال) لأنكم لا تعرفون القرآن كله و لكن تحتجون بالقرآن.

و فى رواية محمد بن سنان عن زيد الشحام قال: دخل قتادة (قتادة كان فقيه اهل البصرة و عالمهم) على ابى جعفر عليه السلام، فقال له

ابوجعفر عليه السلام: بلغنى أنک تفسر القرآن؟ قال نعم، قال له ويحک يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به.

وروى عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنه قال: إن علم القرآن ليس يعلم ما هو الا من ذاق طعمه فاطلبوا ذلک من عند اهله فإنهم خاصة نور يستضاء به و ائمة يقتدى بهم.

و فى رواية عبيدة السلمانى عن على عليه السلام: اتقوا الله و لا تفتوا الناس بما لا تعلمون. قالوا فما نصنع بما قد خبّرنا به فى المصحف؟ قال يسئل عن ذلک علماء آل محمد عليهم السلام.

و روى الصدوق فى الأمالى عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه و آله: إن الله انزل علىّ القرآن و هو الذى من خالفه ضل و من ابتغى علمه عند غير علىّ هلک.

فيقال بأن هذه الطائفة دلت على اختصاص فهم القرآن بأهل البيت عليهم السلام، فمن يريد فهم القرآن من غير طريق اهل البيت عليهم السلام فقد ضلّ ضلالا بعيدا.

هذه طوائف ثلاثة استدل بها على عدم حجية ظهورات القرآن الكريم الا بالرجوع الى اهل البيت عليهم السلام.

ذكر فی الجواب: بالنسبة الی الطائفة الاولی: أن التفسیر بالرأی ظاهر فی التفسیر المستند الی الاستحسان والظن، فلا یشمل التفسیر استنادا الی الظهور العرفی. فمن یفسّر القرآن بسلیقته الشخصیة فهو یفسر القرآن برأیه. اما من یفسر القرآن استنادا الی الظهور العرفی العام و مع رعایة القرائن و ملاحظتها، هذا لا یفسر القرآن برأیه.

و لأجل ذلک ورد فی خطبة امیرالمنین یومی فیها الی ذکر الملاحم یشیر الی الامام الحجة علیه السلام: یعطف الهوی علی الهدی إذا عطفوا الهدی علی الهوی و یعطف الرأی علی القرآن إذا عطفوا القرآن علی الرأی.

یعنی بعد ما عطفوا القرآن علی الرأی و یفسرون القرآن بآرائهم، الامام الحجة یجیء و یعطف الرأی علی القرآن.

ولأجل ذلک تری أن جماعة من المفسرین مبتلین بالتفسیر بالرأی من حیث یشعرون أو لا یشعرون. رأیت فی بعض الکتب التی کتبت باسم تفسیر القرآن و هم یدعون أنهم من علماء الشیعة فضلا عن تفسیر المنار و امثاله الذی یترائی منه الانحرافات و تفسیر القرآن بالرأی الی ما شاء الله. و لکن الانسان یأسف علی أنه یقرأ فی بعض الکتب التی نشر

باسم عالم دينى شيعى كتب فى تفسير القرآن يقول مثلا: و إذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى و لكن ليطمئن قلبى قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليک ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينک سعيا و اعلم أن الله عزيز حكيم.

يقول: امر ابراهيم عليه السلام يشترى اربعة طير يربيهن ثم يجعلن فوق اربعة جبال، هن احياء، ثم يسيّح حتى تأتى الطيور اليه لأُنسهن بابراهيم، ثم يقول الله سبحانه و تعالى شوف انت سحت على الطيور و جئن اليک و نحن نسيح على الارواح و الاموات يجيئون الينا.

أ ليس هذا تفسير للقرآن بالرأى؟ أ ليس هذا تحريفا للقرآن؟

و كيف كان.

فإذن نقول: عنوان الرأى عنوان كان ظاهرا فى معنىً خاص لا مطلق النظر. الرأى فى ذاک الزمان كان بمعنى ما ينشأ من الاستحسان و التخمين و الظن و السلائق الشخصية، أما استظهار من القرآن وفق الفهم العرفى العام فهذا لا يسمى بالتفسير بالرأى.

فإذن تخلصنا من الطائفة الاولى، و لااقل من أن نقول أن روايات التفسير بالرأى مقتضى الجمع بينها و بين ما دل على الارجاع الى ظواهر

الكتاب كروايات عرض الاحاديث على الكتاب مقتضى الجمع بينها أن نقول: بأن تفسير القرآن بالرأى لا يشمل الاعتماد على ظهورات القرآن مع رعاية القرائن الصارفة عن ظهورات القرآن.

و اما الطائفة الثانية: فقد يقال بأن التفسير يعنى كشف القناع، فلا يصدق التفسير على حمل ظاهر القرآن على معناه الظاهر.

هذا ليس صحيحا. بعض الظهورات معرفتها بحاجة الى تدقيق و الجمع بين آيات مختلفة. هذا تفسير بعد. فليس كل ظهور و استظهار خارجا عن اطار التفسير.

لكن نقول: مقتضى الجمع بين هذه الروايات و بين ما دل على الارجاع الى ظواهر الكتاب كروايات عرض الاحاديث على الكتاب أن نقول بأن المراد من الطائفة الثانية أيضا هو التفسير بالرأى أو تفسير القرآن استقلالا عن الائمة عليهم السلام. لا يراجع الى روايات اهل البيت، يريد يكشف معانى القرآن عن كتب اللغة. يخلى قدامه كتاب اللغة و يفسر القرآن، اكثر شيء تفسير المنار أيضا موجودة عنده. شوفوا. كتاب اللغة و تفسير المنار. الروايات التى تنهى عن تفسير القرآن بمقتضى الجمع بينها و بين ما دل على ارجاع الناس فى الاحاديث الى كتاب و كل ما وافق كتاب

الله فيؤخذ به و كل ما خالف كتاب الله يترک أن نقول بأن المراد من النهی عن التفسير، هو التفسير بالرأی أو الاستقلال فی تفسير القرآن من دون مراجعة الی روايات اهل البيت عليهم السلام.

المهم هو روايات الطائفة الثالثة. لم يرد فيها عنوان التفسير. فماذا نصنع بها؟

سنتكلم عنها فی ليلة الاثنين من الاسبوع القادم إن شاءالله تعالی.

والحمد لله رب العالمين.